

المحابة ومصدرها الاجتماعي

للأستاذ عبد الله حسين



ابتلى الله بها عهداً دون عهد أو حكماً دون آخر ؛ بل إنها تستند إلى ما ورتنا من عادات . ذلك أن الأمة هي الصورة الكبرى للأسرة ؛ وما دمنا نعمد في أسرتنا إلى إثارةها بالغم والخير ولو كان هذا على حساب أسرة أخرى أو جميع الأسر الأخرى ، فليس لنا أن نشكو ظاهرة المحابة في الأسرة الكبرى : الأمة .

إن عاداتنا وأخلاقنا لتقتضينا أن نعتي بشئون أبنائنا وأبناء عمومتنا وخؤولتنا وأصحابنا ، فإذا قام منا سيد أو حاكم ، وزيراً كان أو غير وزير ، اقتضته الشهامة أن يؤثر ابنه على ولد أخيه ، وولد الأخ على ولد المم ، وهذا على من كانت صلته بعيدة . فإذا اطمان الحاكم أو السيد على الخير قد وصل إلى أحد من هؤلاء على الترتيب والتعاقب ، وكانت هناك فضلة من هذا الخير ، لزمه أن يؤديها إلى الصديق أو المواطن في القرية ذاتها أو إلى ابن حزبه

أما إذا تقشَّى صاحب الكلمة والنفوذ وهم من تلك الأوهام ، أو رجب من تلك الأرجاس ، التي ينعنونها على أسلات الأقلام أو منابر الخطابة والوعظ والدعوة السياسية ، بالنزاهة

في يوم صائف من أيام عام ١٩٤٠ كنتُ مع بعض زملائي المحامين في غرقهم في دار محكمة استئناف مصر الأهلية ، وانتظمتنا جماعة نمرض لشئون الدنيا العامة والخاصة بنشئ فنون الحديث وألوان التخريج والتأويل ، وترتصد لها بالنقد والتأميل . فبهنا الزميل المحترم عبد الرحمن الرافعي بك ، وهو من هو في أمثال هذه المعالجات والبحوث ، بكلام في المحابة :

تحدث الزميل مستغرباً متسائلاً : ما بال حكومات مصر قد بُليت ببلية المحابة ، كأنها أساس من أسس الحكم ، لا يستوى على حال مرضية إذا لم تكن في حساب الحكم ؟ ثم سأل بعدئذ : أليس هناك علاج لهذه العلة الفاشية ؟

وقد سارعتُ يومئذ إلى الإجابة على هذين السؤالين قائلاً عن السؤال الأول : إن المحابة ليست خلقاً لحزب بذاته أو ببلية

ولو نظر القديماء هذه النظرة لأعفونا من أبحاث كان فيها نقد الشمر قائماً على وحدة البيت لا وحدة القصيد ، فكان مثلهم مثل من يعيب الغابة الشجراء ، لأنه عثر فيها على شجرة مجفئة

قصة أدبية

وهذا الكلام ساقته قصة أدبية تلخصها الأسطر الآتية : بدا لي أن أقرأ « قصيدة مصر الجديدة » على الدكتور طه حسين ، فاعتذرت بالسفر إلى فلسطين . وأردت عرضها على الأستاذ خليل مطران فحدد موعداً ، ولكنني تخلفتُ عن الموعد ساعة ويضع دقائق ، فانصرف قبل أن يلقي مع الأسف ، فقد كنت أرجو أن أتنفع بنقده الدقيق . وعند خروجي من مكتب الأستاذ خليل مطران لقيت الأستاذ محمد هاشم عطية فدعوته لسماع القصيدة عساه يعطى رأياً في تنقيح بعض الأبيات ؛ ثم كان

رأيه أن هذه القصيدة يفسدها التنقيح ، فعرفت من جديد أنه ذلك الأديب الفنان

ما هذا الكلام ؟ أتروني أعتذر عما سيقع في قصيدتي من ضعف كما اعتذر ابن الرومي ؟

هيهات ثم هيهات ! قصيدتي هي القصيدة ، ولن يستطيع شاعر أن يجارييني في أي ميدان ؟

راية الشعر يحملها المصريون ، ولن تُنزع هذه الراية من أيدينا ، ولو سهر ليل الإخوان الأعزاء في سائر الأقطار العربية قد تقولون : ما هذا الغرور ؟ وما هذا الادعاء ؟

وأقول إنني سألقى عليكم قصيدة تلقفُ ما تأفكون ، وسأقهركم على الإيمان بمقريه مصر الشعرية في هذا الزمان

في مبارك

العام ، فإن رأينا العام ضعيف ، أو قل إنه قوى حيناً ، ضعيف أحياناً ...

أعني بتقوية رأى العام ، تقوية المعنى الوطنى ، أى أن تقوم تربية النشء على تقديم مصلحة الوطن والدولة على مصالح الأفراد التى تتعارض مع تلك المصلحة

هذه واحدة ؛ وواحدة أخرى علينا أن نبذل ما نستطيع لكي نجعل الانتخابات فى جميع صورها وأن نجعل ألوان التأييد للحكومات والثقة بها بمنزل عن الوظائف والتعيين فيها والترقية إليها ...

وإني لأقدر في أسف شديد وألم عميق ، أن أجيالاً قد تمضى قبل أن نستطيع أن نقضى على هذا الداء قضاء تاماً ، وأن كل ما نطمح إليه يجب أن يكون مقصوداً على تخفيف ويلات ، والحد من مضاعفاته . وفوق كل ذى علم علم .

عبد الله حسين

إلى هواة المغناطيسية

والى المهاميين بالاضطرابات العصبية



ترسل تعليمات مجانية من شرح طرق وتدريبات تملك كيف تتخلص من الخوف والوم والتجمل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والمعدات الضارة . كشرب الدخان ومن الملل والآلام الجسدية وفى تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احترام التنزيم المغناطيسى والحصول على دبلوم فى هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصرى بقمرة بمصر وارفق بطلبك ٣٠ ملية طوابع المصاريف فتملك التعليمات مجاناً .

التامة والعدالة الحق ، فحدث ما شئت عما يصيب هذا الرجل من ألوان التشهير ، فهو — عند ذويه وأصهاره وبني قريته وبين صدقاته — الخارج على الأسرة ، المارق من الروءة ، الجاحد للفضل ، المختلس لثقة ناخبه إن كان منخوباً لعضوية إحدى الهيئات ، الضعيف الرأى ، الأنانى ، الخائن المزعة ؛ بل لقد يتبادى الطاعنون فى طعنهم ، فيرمونه بالخيانة لأن من ينكص عن خدمة ذويه وأصدقائه وأسرته ، لا يرجى منه خير لوطنه وأمتة . أو بأنه فى حقيقته لم ينحدر من سلب آله وقومه !

فمن منا — من المصريين يرضى أن يدرج مع الساقطين فى الروءة والوطنية ؟

فهذه المحابة — والأمر كما أوضحنا — ليست شيئاً مستغرباً وليست حادثة موقوتة يرجى علاجها إذا ما ولى عهد وخلفه آخر ، أو إذا ما سقط سيد وقام بالأمر بعده سيد آخر ، مهما يختلف — مداها سعة وشططاً وعلة وتعليلاً

إنها ليست بمحدث الأحداث كما يفلو بعض الكاتبين ، وليست بطارئ ظهر فى هذا الزمان

بل إن المحابة — وهى من خلق الإنسان منذ الخليقة — تقع فى الصدر من أخلاقنا وتستقل بالصميم من عادتنا

إنما الجديد فيها أننا نهضنا نهضة سياسية جديدة ، فأصبح لنا أحزاب سياسية ذات أنصار وأنصار للأنتصار ، وأصبح لنا برلمان ونواب وشيوخ ، ولا بد لحي هؤلاء من الناخبين ، ولا سبيل إلى الفوز بالأصوات إلا بخدمة المصوتين — أو بذل الوعد لهم بتأديتها

ومن ثم انتقلت المحابة من ميدان القرية ، حيث يشتد النزاع حول السمديات والشياعات وتقديم أنفار القرعة وحول الميراث وحدود الأقطان وما يجب لها من رى وصرف — إلى الحكومة ، فكان ما شهدنا ونشاهد ، وما من أجله تناول الناقدون ما تناولوا من الإنحاء على المحابة والمهاين

أما الإجابة على السؤال الثانى ، وهو كيف نعالج هذا الداء ، ونفراً من هذه العلة — فإن الواجب أن نعمل على تقوية الرأى